المرأة وإدارة الأزمات في العهد النبوي

دكتور

شيخة بنت عبد الله الشيباني

الأستاذ المشارك بكلية العلوم والدراسات الإنسانية

جامعة شقراء

Women and Crisis Management in The Prophetic Era

Shaykha Al-Shaibani
Faculty of Science and Humanities,Shakra University,KSA.
E-mail : *shalsheni@su.edu.sa*

Abstract

Women are part of the society who together with men contribute to its building. They are the ones who bring up generations with good Islamic education whose fruits is reaped by the society to occupy prominent position among nations. Therefore, Islamic call focused on women since its beginning, which was reflected in women's active contributions in crucial times to set an example for Muslims women everywhere. This research study focused on events and crises that Muslim community has experienced during the era of the Prophet. Some women had remarkable positions in dealing with these events with courage and sacrifice to overcome such crises. Among those are Khadija Bint Khuwailid (may Allah be pleased with her), Somaya Bint Khayat (may Allah be pleased with her), Zainab the daughter of the prophet (may Allah be pleased with her), Asmaa the daughter of Abu Bakr (may Allah be pleased with her), Arwa bint AbdulMotalib (may Allah be pleased with her). Om Salama (may Allah be pleased with her), Om Habibah bint Abi

Sufyan (may Allah be pleased with her), Om Emara Nusseibeh Bint Ka'ab (may Allah be pleased with her), and Aisha Bint Abi Bakr (may Allah be pleased with her).

All of them had a prominent role in managing different crises by either prompt decision-making, courage, sacrifice, wisdom or sound decisions.

Keywords : Women – Crisis- Management - the society - building

المرأة وإدارة الأزمات في العهد النبوي

شيخة الشيباني
قسم التاريخ والحضارة ،كلية العلوم والدراسات الإنسانية ، جامعة شقراء،المملكة العربية السعودية.
الإيميل: shalsheni@su.edu.sa

الملخص

المرأة هي جزء من المجتمع تساهم مع الرجل في بنائه، كما أنها هي مربية الأجيال التي تزرع فيهم التربية الإسلامية الصالحة فيقطف المجتمع ثمار زرعها ويكون سببا في ارتفاع شأنه بين المجتمعات، لذا نجد منذ بداية الدعوة الإسلامية اهتمام بالمرأة ومساهمة فاعلة لها في أوقات عصيبة لتضرب أروع النماذج التي يقتدى بها لدى نساء المسلمين، وفي هذا البحث ركزت الدراسة على مواقف وأزمات مر بها المجتمع الإسلامي في عهد النبي ﷺ كان لبعض النساء مواقف مشهودة في حسن التعامل مع الموقف والشجاعة والتضحية التي بذلتها لتجاوز هذه الأزمات، ومن هذه النماذج : خديجة بنت خويلد رضي الله عنها، سمية بنت خياط رضي الله عنها، زينب بنت رسول الله رضي الله عنها، أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها، أروى بنت عبد المطلب رضي الله عنها، أم سلمة رضي الله عنها، أم حبيبة بنت أبي سفيان رضي الله عنها، أم عمارة نسيبة بنت كعب رضي الله عنها، عائشة بنت أبي بكر رضي الله عنها.

وكان لكلا منهن دور بارز في إدارة أزمات مختلفة، تطلب بعضها سرعة اتخاذ القرار وتطلب البعض الاخر الشجاعة والتضحية والحكمة والرأي السديد.

الكلمات المفتاحية : المرآة – الإدارة – الأزمات – المجتمع – البناء

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين محمد بن عبد الله ﷺ المبعوث رحمة للعالمين . وبعد..

فلقد كان للمرأة منذ أشراق شمس الإسلام مكانة عظيمة في المجتمع وكان لها دور فاعل ومقدر في جميع المجالات، فلم تحتقر أو تهان أبدا، بل النبي ﷺ أشركها في بناء المجتمع وأعطاها المكانة التي تستحقها في ضوء أحكام الشريعة الإسلامية.

ولكون الانسان في هذه الحياة من ذكر أو أنثى معرض لأزمات وأحداث تعكر عليه صفو حياته، فقد كان هناك تفاوت في قدرات الاشخاص في تعاملهم مع هذه الازمات، ودائما الازمة هي بمثابة اختبار لهذه القدرات حيث يبرز من خلالها الشجاع أو الجبان القائد أو الاتباع، صاحب الرأي والمشورة أو العكس وهكذا

وفي هذا البحث سوف تركز الدراسة على شخصيات نسائية عاشت في عصر النبي ﷺ، هذا العصر الذي عايش جميع المسلمين سواء من النساء أو الرجال أزمات بسبب اتباعهم للدين الاسلامي وايمانهم بالله ربا وبمحمد ﷺ رسولا.

وقد تنوعت هذه الازمات والمواقف بين الازمات النفسية والاقتصادية والاجتماعية وتعامل معها النساء موضع الدراسة بحكمة وذكاء تنقل لنا جيل بعد جيل القدوة والأسوة الحسنة وأن المرأة منذ بزوغ فجر الاسلام كان لها دورها الفعال الذي خلد لها.

وبلغ عدد النماذج لهؤلاء النسوة موضع الدراسة (تسعا) تم ترتيبها حسب تاريخ الوفاة، ثم تعريف بالشخصية ثم الازمة التي مرت بها وموقفها من هذه الازمة وكيف تعاملت معها والنتائج المترتبة على ذلك.

[١] سمية بنت خياط (ت ٧ من البعثة).

كانت أمه لأبي حذيفة بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، فزوجها من حليفة ياسر بن عامر بن مالك العنسي [١] فولدت له عمارا فأعتقه أبو حذيفه ولم يزل ياسر وعمار مع أبي حذيفة إلى أن مات وجاء الله بالإسلام فأسلم ياسر وسمية وعمار [٢]

ولقد واجه المشركين من قريش دعوة النبي ﷺ بأساليب مختلفة للصد عن سبيل الله، ومن ذلك تفننهم في أذيتهم المؤمنين وتعذيبهم لفتنتهم عن دينهم، ولم يكن التعذيب لأهل الإيمان مقصوراً على الرجال دون النساء، بل طال النساء أيضا قسط من الأذى والعذاب بسبب إسلامهن.

فقد واجهت سمية رضي الله عنها نتيجة لإسلامها أنواع التعذيب فصبرت واحتسبت ولم تبدل دينها، وقدمت مثال عملي في التضحية والثبات، حيث روي أن بني المغيرة بن عبد الله بن مخزوم عذبوها لتبدل دينها من الإسلام إلى عبادة الأوثان وهي تأبى غيره حتى قتلوها، وكان رسول الله ﷺ يمر بعمار وبأمه وهم يعذبون بالأبطح في رمضاء مكة فيقول: صبرا آل ياسر موعدكم الجنة " [٣].

---

(١) ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله النمري القرطبي (ت ٤٦٣هـ)، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تحقيق : علي محمد البجاوي، ط١، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٢م، ١٨٦٣/٤.

(٢) ابن سعد، محمد بن سعد بن منيع الزهري (ت ٢٣٠هـ)، لطبقات الكبرى، تحقيق : علي محمد عمر، ط١، مكتبة الخانجي، ٢٠٠١م ، ٢٤٦/٣.

(٣) بن إسحاق، محمد بن إسحاق بن يسار المطلبي (ت ١٥١ هـ)،السيرة النبوية، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٤م، ١٧٢/٤.

وقال مجاهد: أول من أظهر الإسلام بمكة سبعة رسول الله ﷺ وأبو بكر وبلال وخباب وصهيب وعمار وسمية، فأما رسول الله ﷺ وأبو بكر فمنعهما قومهما وأما الآخرون فألبسوا ادراع الحديد ثم صهروا في الشمس وجاء أبو جهل إلى سمية فطعنها بحربة في قبلها فماتت (٤)، ومنهم من قال طعنها في فخذها فسرى الرمح إلى فرجها فماتت شهيدة (٥)

وأخرج بن سعد بسند صحيح عن مجاهد قال: أول شهيد في الإسلام سمية والدة عمار بن ياسر وكانت عجوزاً كبيرة ضعيفة، ولما قتل أبو جهل يوم بدر قال النبي ﷺ لعمار قتل الله قاتل أمك (٦).

هذه سمية التي عذبت في الله على الرغم من كبر سنها وضعف جسدها، لكنها صبرت على الأذى في سبيل الله، فدل موقفها على شجاعتها وقوة إيمانها، وبتحملها للأذى ضربت أروع مثال يحتذى للنساء في الصبر على الشدائد وأن المرأة قادرة على التضحية في سبيل ايمانها بربها.

[٣] خديجة بنت خويلد رضي الله عنها (ت١٠ من البعثة)

لم تشهد أي أمرأه مسلمة مثل ما شهدته أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها من مواقف في بداية الدعوة الإسلامية، وقد تعاملت رضي الله عنها مع هذه المواقف بحكمة وصبر تدل على قوة ايمانها وشدة محبتها لله ورسوله ﷺ، وقوة شخصيتها.

---

(٤) ابن حجر، أحمد بن علي بن محمد العسقلاني (ت ٨٥٢هـ)، الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق : عادل أحمد عبد الموجود ؛ علي محمد معوض، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٥م، ٧١٢/٧.

(٥) ابن عبد البر، الاستيعاب ١٨٦٥/٤.

(٦) ابن حجر، الإصابة ٧١٢/٧.

وأول هذه المواقف عند نزول الوحي على النبي ﷺ، فبعد عودته ﷺ من متعبده وخلوته إثر مفاجأة الملك له في غار حراء، ويتحدث إليها، بعد أن استراح متزملاً، متدثراً في فراشه لتهدأ نفسه الكريمة من هول ما كابدت من عناء المفاجأة وما احتف بها من الغط الجاهد المجهد، الذي هز بشريته هزاً بالغ الأثر في بدنه [١] ويقول لها: " يا خديجة مالي؟ وأخبرها الخبر، وقال: قد خشيت على نفسي، فقالت له: كلا فو الله لا يخزيك الله أبدا، إنك لتصل الرحم، وتصْدُق الحديث، وتحمل الكلَ، وتكسب المعدوم، وتقرى الضيف، وتعين على نوائب الحق. ثم انطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى بن قصي – وهو ابن عم خديجة أخو أبيها– وكان يكتب الكتاب العبراني، فيكتب من الإنجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب، وكان شيخاً كبيراً قد عمي، فقالت له خديجة: اسمع من ابن أخيك....الحديث " [٢].

وهذه الكلمات المشرقة بنور الإيمان الفطري، من الزوجة الوفية، وزيرة الصدق، ومأنس القلب والروح، تضيف إلى ما تحلى به ﷺ من قوة اليقين والصبر ضروباً من المصابرة تزيد في شحنة عزيمته على المضي قدماً في طريق أداء واجبه نحو الإنسانية ليخرجها من ظلمات العبودية الوثنية بصورها وأشكالها الكافرة بتوحيد الله تعالى[٣]

---

(١) محمد الصادق عرجون، محمد رسول الله ﷺ منهج ورسالة، ط٢، دار القلم، دمشق، ١٩٩٥م.١/٣٠٦.

(٢) البخاري، محمد بن إسماعيل الجعفي (ت ٢٥٦هـ)، الصحيح، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي، ط١، ١٤٢٢هـ، كتاب : بدء الوحي، باب : بدء الوحي،١/٤.

(٣) محمد الصادق عرجون، محمد رسول الله ﷺ، ط٢، دار القلم، دمشق، ١٩٩٥م.١/٣٠٦-٣٠٨.

قال ابن حجر: وقد تقدم في أبواب بدء الوحي بيان تصديقها للنبي ﷺ في أول وهلة، ومن ثباتها في الأمر ما يدل على قوة يقينها، ووفور عقلها وصحة عزمها، لا جرم كانت أفضل نسائه"(٤).

أما الأزمة الثانية التي عايشتها أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها، وساندت فيها زوجها ﷺ ليتابع سيره في نشر دعوته وتبليغ رسالته، فكان حصار الشعب(٥)، وذلك عندما كتبت قريش تلك الصحيفة الظالمة لمقاطعة بني هاشم وبني عبد المطلب وحصروهم في الشعب (٦)، دخلت خديجة رضي الله

(٤) ابن حجر، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ط١، دار السلام، الرياض، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م، ١٣٤/٧.

(٥) الشّعْب : واحد الشعاب للطريق بين جبلين أو ما انفجر بينهما، أو مسيل الماء في بطن من الأرض له جرفان مشرفان وأرضه بطحه، والشعب الذي أوى إليه رسول الله ﷺ وبنو هاشم يسمى اليوم شعب علي. محمد محمد حسن شراب، المعالم الأثيرة في السنة والسيرة، دار القلم، دمشق، ط١، ١٩٩١م. ص١٥٠.

(٦) لما أيقنت قريش أن أبا طالب لن يسلمهم ابن أخيه، تقاسموا على قتل محمد ﷺ علانية، ولما وصل هذا الخبر لأبي طالب أتخذ موقفا شجاعا نبيلا في حمايته ابن أخيه محمد ﷺ، فقد جمع بني هاشم وبني المطلب، فأدخلوا رسول الله ﷺ شعبهم ومنعوه ممن أراد قتله، فأجابوه إلى ذلك حتى كفارهم فعلوا ذلك حمية على عادة الجاهلية. فلما رأت قريش ذلك اجتمعوا وائتمروا بينهم أن يكتبوا كتاباً يتعاقدون فيه على بني هاشم وبني المطلب، على أن لا يعاملوهم ولا يناكحوهم حتى يسلموا إليهم رسول الله ﷺ، ففعلوا ذلك وعلقوا الصحيفة في جوف الكعبة، فانحازت بنو هاشم وبنو المطلب إلى أبي طالب، فكانوا معه كلهم إلا أبا لهب، فكان مع قريش، وقيل كان ابتداء حصرهم في المحرم سنة سبع من المبعث، فأقاموا على ذلك سنتين أو ثلاثاً، إلى أن أفسد الله الصحيفة، فخرج رسول الله ورهطه وجماعته وخالطوا الناس. ابن هشام، عبد الملك بن هشام الحميري المعافري (ت ٢١٨هـ)، السيرة النبوية، تحقيق : عمر عبد السلام تدمري، ط٣، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٩٠م، ١٠١/٢.

عنها حصار الشعب مع زوجها محمد رسول الله ﷺ تشاركه آلام المحنة ومرارتها راضية صابرة محتسبة، وظلت معه تواسيه وتخفف عنه وقع هذا الظلم بما تبديه من احتمال ورضا، وهو ساكن القلب إلى وفائها ومودتها وحبها له[1].

ولم تكتف خديجة رضي الله عنها بهذا الدعم المعنوي، بل برزت شخصيتها المعطاءة التي اعتادت على البذل والعطاء في هذه الأزمة، فلم تقف مكتوفة الأيدي تنتظر انفكاك هذه الأزمة بل بذلت من مالها لتؤمن ما تستطيع من طعامٍ للمسلمين ــ خلال سنوات مقاطعة، واستعانت لهذا الأمر بابن أخيها حكيم ابن حزام ﷺ وكان حينئذ على شركه لم يسلم بعد، فكان يشتري الطعام، ويرسله إلى عمته خديجة ليلاً، ولقيه في إحدى المرات أبو جهل، ومع حكيم غلام يحمل قمحاً، يريد عمَّته خديجة بنت خويلد، وهي عند رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومعه في الشعب، فتعلق به، وقال: أتذهب بالطعام إلى بني هاشم ــ خرقت المقاطعة ــ والله لا تبرح أنت وطعامك حتى أفضحك بمكة، فجاء أبو البختري بن هشام بن الحارث فقال: مالك وله؟ قال: يحمل الطعام إلى بني هاشم؟ فقال أبو البُختري: طعامٌ كان لعمته بعثت إليه، أفتمنعه أن يأتيها بطعامها، خلي سبيل هذا الرجل، فأبى أبو جهل، حتى نال أحدهما من صاحبه، فأخذ أبو البُختري لحى بعيرٍ فضربه به فشَّجه، ووطئه وطأً شديداً[2]. أنها معاناة شديدة جدا على المسلمين.

ومرت سنوات المقاطعة الظالمة، وهلك فيها من هلك من أطفال المسلمين. وعندما خرج النبي ﷺ من هذا الحصار منصوراً من عند الله سبحانه وتعالى،

---

(١) محمد الصادق عرجون، محمد رسول الله، ط٢، دار القلم، دمشق، ١٩٩٥م.، ٣٠٩/٢.

(٢) ابن هشام، السيرة النبوية ١٩٨/٢-١٩٩.

خرجت معه زوجته الوفية، ولكن العمر لم يمتد بها طويلا إذا ما لبثت إلا قليلا ثم توفيت رضي الله عنها، وكانت وفاتها بعد وفاة أبي طالب بثلاثة أيام [٣]، وقبل خروج رسول الله ﷺ إلى المدينة بثلاث سنين [٤]، وروي أنها توفيت في رمضان سنة عشر من البعثة وهي بنت خمس وستين سنة ودفنت بالحجون ونزل النبي ﷺ في حفرتها [٥]، وكانت إقامتها مع النبي ﷺ خمسا وعشرين سنة على الصحيح [٦] رضي الله عنها.

[٣] زينب بنت رسول الله ﷺ (ت٨هـ)

زينب رضي الله عنها، أكبر أخواتها بلا خلاف، وأول الأزمات التي عاشتها رضي الله عنها كان إيذاء المشركين لأبيها ﷺ في بداية الدعوة للإسلام بمكة وهي جارية. فقد روى الحارث بن الحارث الغامدي [١] قال: " قلت لأبي ما هذه الجماعة؟ قال: هؤلاء قوم اجتمعوا على صابئ لهم. قال: فتشرفنا فإذا رسول الله ﷺ يدعو الناس إلى توحيد الله ﷻ والإيمان به حتى ارتفع النهار فتصدع عنه الناس وأقبلت امرأة قد بدا نحرها تبكي تحمل قدحاً ومنديلا فناولته

(٣) النووي، محيي الدين بن شرف (ت٦٧٦هـ) تهذيب الأسماء واللغات، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٨م، ٦٠٧/٢.

(٤) البخاري، الصحيح، كتاب : المناقب، باب : تزويج النبي ﷺ خديجة وفضلها رضي الله عنها.١٣٨٩/٣.

(٥) ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن (ت٥٧١هـ)، تاريخ دمشق، تحقيق : عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٥م، ١٩٤/٣.

(٦) ابن حجر، فتح الباري، ١٣٤/٧.

(١) الحارث بن الحارث الغامدي، يكنى أبا المخارق، أدرك النبي ﷺ وروى عنه أحاديث. ابن حجر، الإصابة ٥٦٧/١.

منها فشرب وتوضأ ثم رفع رأسه إليها فقال: " يا بنية خمري عليك نحرك ولا تخافي على أبيك غلبة ولا ذلاً ". فقلت من هذه؟ قالوا: هذه زينب ابنته"[٢]

لقد رأت وسمعت رضي الله عنها ما كان يتعرض له والدها من أذى من قومه، وهي جارية صغيرة السن ومع ذلك برزت شخصيتها في محاولة دعم والدها وإظهار خوفها ومحبتها له.

هذه الازمة التي عاشتها زينب رضي الله عنها جعلت منها امرأة لها شخصية قوية وقدره على حل الأزمات التي واجهتها فيما بعد بحكمة وحنكة، ومن هذه الأزمات، أزمة وقوع زوجها الذي تكن له الحب والمودة على الرغم من عدم إسلامه في أسر المسلمين.

فقد تزوجت في حياة أمها خديجة رضي الله عنها ابن خالتها أبو العاص[٣] ولما أسلمت بقي زوجها مشركا، وعندما حدثت معركة بدر بين المسلمين وقريش، شهد بدرا مع المشركين فتم أسره، فلما بعث أهل مكة في فداء أسراهم جاء في فداء أبي العاص أخوه وبعثت معه زينب لفداء زوجها قلادة لها من جزع ظفار كانت قد أهدتها إياها ليلة زواجها أمها خديجة، فلما رأى رسول الله ﷺ القلادة عرفها ورق لها وقال: إن رأيتم أن تطلقوا لها

---

(٢) ابن أبي عاصم، أحمد بن عمرو (ت٢٨٧هـ)، الآحاد والمثاني، تحقيق : باسم فيصل الجوابرة،ط١، دار الراية، الرياض،١٩٩١م، ٣٦٤/٤.

(٣) أبو العاص بن الربيع بن عبد العزى بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب القرشي، كان النبي ﷺ يثني على مصاهرته خيراً حيث قال : " حدثني فصدقني، ووعدني فوفى لي "، توفي سنة اثنتى عشرة من الهجرة. الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد (ت٧٤٨هـ)، سير أعلام النبلاء، تحقيق : مجموعة من المحققين بإشراف شعيب الأرناؤوط، ط٣، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٥م ، ٣٣٥/١، ٣٣٠.

أسيرها، وتردوا عليها قلادتها. قالوا: نعم. فأخذ عليه أن يخلي سبيلها إليه ففعل(٤).

وعندما قدم أبو العاص مكة أمرها باللحوق بأبيها فتجهزت، وقدم لها أخو زوجها كنانة بعيرا فركبت وأخذ قوسه وكنانته، وكان ذلك نهارا فخرج عدد من قريش في طلبها وأدركها هبار بن الأسود (٥) فلم يزل يطعن بعيرها برمحه حتى صرعها وألقت ما في بطنها وأهرقت دماً، فنثر كنانة كنانته وقال: والله لا يدنو أحد إلا وضعت فيه سهما، فقال أبو سفيان: كف أيها الرجل عنا نبلك حتى نكلمك. فكف، فقال له أبو سفيان: إنك لم تصب خرجت بالمرأة على رؤوس الناس علانية وقد عرفت مصيبتنا ونكبتنا وما دخل علينا من محمد فيظن الناس أن ذلك عن ذل أصابنا ولعمري مابنا بحبسها عن أبيها من حاجة ارجع بها حتى إذا هدت الأصوات وتحدث الناس أنا رددناها فسلّها سرا وألحقها بأبيها. ففعل، وخرج بها بعد ليال فسلمها إلى زيد بن حارثة ورجلا من الأنصار أرسلهما النبي ﷺ لاصطحاب زينب رضي الله عنها، فلما أتت كان النبي ﷺ يقول لها:" هي أفضل بناتي أصيبت في"(٦).

---

(٤) الذهبي، سير أعلام النبلاء ٣٣٠/١، ٢٤٦/٢-٢٥٠، ابن عبد البر، الاستيعاب ٥٠/١، ابن عساكر، تاريخ دمشق ٣٧٦/٦٠

(٥) هبار بن الأسود بن أسد، أبو الأسود القرشي الأسدي، أسلم فحسن إسلامه، استشهد ﷺ باجنادين سنة ١٣هـ. ابن كثير، إسماعيل بن عمر الدمشقي (ت ٧٧٤هـ) البداية والنهاية، تحقيق : علي شيري، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٨٨م، ٣٤/٧.

(٦) البخاري، التاريخ الأوسط، تحقيق : محمود إبراهيم زايد، ط١، دار الوعي، حلب،٧/١، ١٩٧٧م، ٩٥/١، الذهبي، سير أعلام النبلاء ٣٣٣/١.

أما أبو العاص فقد بقي في مكة مع قومه، وبعد فترة من الزمن خرج بقافلة تجارية إلى الشام في عير لقريش، فلما رجع لقيته سرية للمسلمين فأصابوا ما معه، وأعجزهم هربا، فقدموا بما أصابوا، وأقبل هو في الليل حتى دخل على زينب سحرا، فاستجار بها فأجارته، فلما كان النبي ﷺ والناس في صلاة الصبح نادت زينب: أيها الناس إني قد أجرت أبا العاص بن الربيع. فلما سلّم النبي ﷺ قال: " هل سمعتم ما سمعت قالوا: نعم. قال: والذي نفس محمد بيده ما علمت شيئاً مما كان حتى سمعت، وإنه يجير على الناس أدناهم " [١].

ثم سألت زينب النبي ﷺ أن يرد عليه ما أُخذ منه ففعل ﷺ، فمضى أبو العاص إلى مكة وأدى إلى كل ذي مال ماله، ثم قال: يا معشر قريش هل بقي لأحد منكم عندي شيء قالوا: لا. قال: فإني أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، والله ما منعني من الإسلام عنده إلا خوف أن تظنوا أني إنما أردت أكل أموالكم. ثم قدم على رسول الله ﷺ فرد عليه رسول الله ﷺ زينب بالنكاح الأول[٢].

كان النبي ﷺ يحب زينب ويثني عليها [٣]، ويعلم محبتها ووفاءها لزوجها أبي العاص بن الربيع، لذا كان ﷺ يتعاطف معها كثيراً، بالإضافة إلى أنها رضي الله عنها كانت مريضة منذ حادثة ترويع هبار ابن الأسود لها وإسقاطها وأهراقها الدماء فلم يزل بها مرضها حتى توفيت رضي الله عنها وفي أوائل السنة الثامنة من الهجرة[٤].

---

(١) الذهبي، سير أعلام النبلاء ٣٣٤/١، ٢٤٦/٢-٢٥٠، ابن حجر، الإصابة ٦٦٥/٧.

(٢) الذهبي، سير أعلام النبلاء ٣٣٤/١، ابن حجر، الإصابة ٦٦٥/٧.

(٣) الذهبي، سير أعلام النبلاء ٣٣٥/١.

(٤) ابن عبد البر، الاستيعاب ١٨٥٤/٤.

هذه الأزمات التي مرت بها رضي الله عنها والتي برز فيها قوة صبرها واحتسابها على ما أصابها، أيضا برز وفاءها لزوجها سواء عندما وقع في الأسر، أو عندما اجارته في المدينة، وكيف لا تملك هذه الصفات وهي بنت سيد البشر وامها خديجة رضي الله عنها الزوجة المحبة الوفية لزوجها.

[٤] أم عمارة نسيبة بنت كعب رضي الله عنها (ت ١٣هـ).

هي نسيبة بنت كعب بن عمرو بن مبذول بن عمرو بن غنم من بني مازن بن النجار الأنصارية النجارية [١] أسلمت أم عمارة وحضرت ليلة العقبة وبايعت رسول الله ﷺ، وكان رسول الله ﷺ لا يصافح النساء إنما كان يأخذ عليهن فإذا اقررن قال أذهبن فقد بايعتكن [٢].

لذلك تعد أم عمارة من أسبق وأشهر السابقات من الأنصار في الإسلام، يضاف لهذا أنها من أكثرهن مشاهد مع رسول الله ﷺ، فقد شهدت أحداً مع زوجها وولديها، ثم شهدت بيعة الرضوان والحديبية وخيبر والقضية والفتح وحنيناً، وعاشت حتى شهدت اليمامة مع ابنها عبد الله، فقاتلت في هذه الموقعة حتى قطعت يدها وجرحت يومئذ اثني عشر جرحاً بين طعنة وضربة [٣].

اشتهرت أم عمارة بالشجاعة وإجادة فنون القتال، وقد برز ذلك جلياً في عندما شهدت أحدا، فقد ابدت من الشجاعة الباهرة والفدائية الصادقة في الدفاع عن رسول الله ﷺ عندما دارت دائرة الحرب على المسلمين فانكشفوا عن رسول الله ﷺ وهو اقفا في مكانه صامدا للأعداء في شجاعة منقطعة النظير.

---

(١) ابن حجر، الإصابة ٣٦٥/٨.

(٢) ابن هشام، السيرة النبوية ٢١٣/٢.

(٣) محمد الصادق ابراهيم عرجون، محمد رسول الله ﷺ، ٥٩٨/٣.

وقد روت أم عمارة موقفها البطولي في غزوة أحد في حديثها الذي روته لأم سعيد بنت سعد بن ربيع بقولها: " خرجت أول النهار إلى أحد وأنا أنظر ما يصنع الناس ومعي سقاء فيه ماء فانتهيت إلى رسول الله ﷺ وهو في أصحابه والدولة والريح للمسلمين فلما انهزم المسلمون انحزت إلى رسول الله ﷺ فجعلت أباشر القتال وأذب عن رسول الله ﷺ بالسيف وأرمي بالقوس حتى خلصت إلي الجراح قالت أم سعيد: فرأيت على عاتقها جرحا له غور أجوف فقلت يا أم عمارة من أصابك هذا؟ قالت: أقبل ابن قميئة وقد ولى الناس عن رسول الله ﷺ يصيح دلوني على محمد فلا نجوت إن نجا فاعترض له مصعب بن عمير وناس معه فكنت فيهم فضربني هذه الضربة ولقد ضربته على ذلك ضربات ولكن عدو الله كان عليه درعان (٤).

وفي رواية أخرى قالت أم عمارة قد رأيتني وانكشف الناس عن رسول الله ﷺ فما بقي إلا في نفير ما يتمون عشرة وأنا وابناي وزوجي بين يديه نذب عنه والناس يمرون به منهزمين ورآني لا ترس معي فرأى رجلا موليا معه ترس فقال لصاحب الترس الق ترسك إلى من يقاتل فألقى ترسه فأخذته فجعلت أتترس به عن رسول الله ﷺ وإنما فعل بنا الأفاعيل أصحاب الخيل لو كانوا رجالة مثلنا أصبناهم أن شاء الله فيقبل رجل على فرس فضربني وتترست له فلم يصنع سيفه شيئا وولى وأضرب عرقوب فرسه فوقع على ظهره فجعل

(٤) ابن هشام، السيرة ٣٠/٤. بإسناد قال عنه أكرم العمري : " إسناد منقطع ". السيرة النبوية الصحيحة ط٢، مكتبة العبيكان، الرياض، ١٩٩٦م. ٣٩٠/٣. والواقدي، محمد بن عمر السهمي (ت ٢٠٧هـ)،المغازي، تحقيق : مارسدن جونس، ط٣، دار الأعلمي، بيروت، ١٩٨٩م ٢٦٨/١. وهو ضعيف متروك.

النبيﷺ يصيح بابن أم عمارة أمك أمك قالت: فعاونني عليه حتى أوزدته شعوب [٥].

وروي أنها قتلت في غزوة أحد فارسا من المشركين. وروي عن عمر قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ما التفت يوم أحد يمينا ولا شمالا إلا وأراها تقاتل دوني[٦].

وهذه شهادة صدق، تتوج هامة الشرف والفضل والشجاعة والبطولة لهذه الفدائية العظيمة، وتضعها في مصاف البطولة الإسلامية الخالدة في تاريخ الحياة، بل تضعها نقطة من النور في مشرق شمس الهداية ورسوخ الإيمان وقوة اليقين [٧].

ويروى أن رسول الله ﷺ قال لها ولزوجها وابناهما: رحمكم الله أهل البيت، وفي رواية بارك الله فيكم أهل بيت ". قالت أم عمارة رضي الله عنها: ادع الله أن نرافقك في الجنة. فقال ﷺ: اللهم اجعلهم رفقائي في الجنة "، وعند ذلك قالت أم عمارة ما أبالي ما أصابني من أمر الدنيا [٨].

وتستمر أم عمارة بعد أحد في العطاء والجهاد، ومن ذلك غزوة حنين حيث ضربت مثالا أخر في الشجاعة والتضحية، وقد روت أحداث المعركة بقولها: " لما كان يوم حنين، والناس منهزمون في كل وجه، وأنا وأربع نسوة في يدي سيف صارم، وأم سليم قد حزمت وسطها، وهي يومئذ حامل، وأم سليط، وأم الحارث، فجعلت أسل السيف، وأصيح بالأنصار: أية عادة هذه؟! ما لكم وللفرار؟! وأنظر إلى رجل مشرك من هوازن على جمل معه لواء، يوضع

(٥) ابن سعد، الطبقات الكبرى ٤١٤/٨.من طريق الواقدي.

(٦) ابن حجر، الإصابة ٣٦٦/٨.

(٧) محمد الصادق ابراهيم عرجون، محمد رسول الله ﷺ،٥٩٨/٣.

(٨) االواقدي، المغازي ٢٧٣/٢. والواقدي متروك الحديث.

جمله في أثر المسلمين، فأعترض له فأضرب عرقوب الجمل، فوقع على عجزه، وأشد عليه، فلم أزل أضربه حتى أثبته، وأخذت سيفاً له، ورسول الله قائم مصلت السيف بيده، قد طرح غمده، ينادي: يا أصحاب سورة البقرة"(١).

ولم يقتصر دور أم عمارة على الجهاد بنفسها في سبيل الله بل أعطت درسا في الصبر على البلاء في فقد فلذة كبدها، فقد تعاملت مع هذه الازمة بصبر وجلد يدل على قوة الايمان والاحتساب لما عند الله عزوجل على ما أصابها، وأصبحت قدوة لكل ام في حسن تربيتها لابنائها وانها اعدتهم لخدمة الدين الإسلامي والتضحية بارواحهم فداء له.

فقد بعث النبي ﷺ ابنها حبيب بن زيد بن عاصم المازني، الذي شهد العقبة، وأحد والخندق، فلما وصل إليه قال له مسيلمة: أتشهد أن محمدا رسول الله. قال: نعم. فقال له مسيلمة: أتشهد أني رسول الله. قال: أنا أصم لا أسمع. فعل ذلك مرارا. فقطعه مسيلمة عضوا عضوا ومات شهيدا رحمه الله. (٢).

هذه الشجاعة منقطعة النظير من حبيب ما هي بعد توفيق الله له إلا ثمرة ما غرسته فيه أمه المرأة العظيمة أم عمارة.

لم تتوقف أم عمارة عن الجهاد في سبيل الله ومباشرة القتال بنفسها حتى بعد وفاة النبي ﷺ فقد شهدت مع ابنها عبد الله وسائر المسلمين اليمامة فقاتلت حتى أصيبت يدها وجرحت يومئذ اثني عشر جرحا من بين طعنة وضربة (٣).

---

(١) الواقدي، المغازي ٩٠٢/٣.

(٢) ابن حجر، الإصابة ١٩/٢ –٢٠ ؛ وابن عبد البر، الاستيعاب ٣١٩/١–٣٢٠.

(٣) ابن عبد البر، الاستيعاب ١٩٤٩/٤.

وذكر الواقدي أنه لما بلغها قتل ابنها حبيب عاهدت الله أن تموت دون مسيلمة أو تقتل فشهدت اليمامة مع خالد بن الوليد ومعها ابنها عبد الله فقتل مسيلمة وقطعت يدها في الحرب (٤).

وبهذا كانت معركة اليمامة هي أخر معركة شهدتها أم عمارة، بعد أن انعم الله عليها باتباع النبي ﷺ بخدمة الدين الإسلامي بالنفس والولد، لتكون نبراسا يقتدي به كل نساء المسلمين.

[٥] أروى بنت عبد المطلب رضي الله عنها (ت١٥هـ).

أروى بنت عبد المطلب بن هشام بن عبد المناف بن قصي، عمة رسول الله ﷺ.(١) أختلف في إسلامها فذكر ابن عبد البر: إن أبو جعفر العقيلي ذكرها في الصحابة هي وعاتكة بنت عبد المطلب، وأما محمد بن إسحاق ومن قال بقوله فذكر أنه لم يسلم من عمات رسول الله ﷺ إلا صفية، وغيره يقول أروى وصفية أسلمتا جميعا من عمات رسول الله ﷺ. (٢). وذكر الذهبي إنها أسلمت وهاجرت، ثم لم يسمع لها بعد ذكر ولا وجد لها رواية (٣).

كان لها موقف في مناصرة النبي ﷺ قبل إسلامها، وذلك أن ابنها طليب بن عمير أسلم في دار الأرقم بن أبي الأرقم المخزومي ثم خرج فدخل على أمه أروى بنت عبد المطلب فقال: تبعت محمدا وأسلمت لله فقالت له أمه: إن أحق من وازرت وعضدت خالك والله لو كنا نقدر على ما يقدر عليه الرجال لتبعناه وذببنا عنه. فقال طليب: فما يمنعك يا أمي من أن تسلمي وتتبعيه فقد أسلم أخوك حمزة. ثم قالت: أنظر ما يصنع أخواتي ثم أكون إحداهن. فقال

---

(٤) ابن حجر، الإصابة ١٤٠/٨.

(١) ابن عبد البر، الاستيعاب ٧٣/٢.

(٢) ابن عبد البر، الاستيعاب ٧٣/٢.

(٣) سير أعلام النبلاء ٢٧٢/٢.

طليب: فإني أسالك بالله إلا أتيته فسلمت عليه وصدقته وشهدت ألا إلـــه إلا الله وأن محمدا رسول الله. ثم كانت تعضد النبي ﷺ بلسانها وتحض ابنهـــا علـــى نصرته والقيام بأمره (٤).

ويروى أيضا أن أبو جهل وعدد من كفار قريش تعرضوا للنبي ﷺ فـــأذوه فعمد طليب بن عمير إلى أبي جهل فضربه ضربة شجه فأخذوه وأوثقوه فقـــام دونه أبو لهب حتى خلاه، فقيل لأروى ألا ترين ابنك طليبا قـــد صـــبر نفســـه غرضا دون محمد فقالت: خير أيامه يوم يذب عن ابن خاله، وقد جاء بـــالحق من عند الله. فقالوا: ولقد تبعت محمدا. قالت: نعم. فخرج بعضهم إلى أبي لهب فأخبره فأقبل حتى دخل عليها فقال: عجبا لك ولأتباعك محمدا وتركك دين عبد المطلب. فقالت: قد كان ذلك فقم دون ابن أخيك واعضده وامنعه فـــإن يظهـــر أمره فأنت بالخيار أن تدخل معه أو تكون على دينك فإن يصـــب كنـــت قـــد أعذرت في ابن أخيك. فقال أبو لهب: ولنا طاقة بالعرب قاطبـــة جـــاء بـــدين محدث ثم انصرف أبو لهب (٥).

وروى ابن حجر –رحمه الله– عن الزبير في كتابه النسب أن طليـــب أول من دمي مشركا في الإسلام بسبب النبي ﷺ فإنه سمع عوف بن صبرة السهمي

---

(٤) ابن سعد، الطبقات الكبرى ٨/٤١-٤٢. هذه الرواية أخرجها ابن ســـعد قـــال حـــدثنا محمد بن عمر الواقدي قال أخبرنا موسى بن محمد بن ابراهيم بن الحارث التيمي عن ابيه. وذكر الرواية. أخرجها الحاكم في المستدرك من طريق موسى بن محمد بن إبراهيم التيمي عن أبيه عن أبيه عن أبي سلمة بن عبد الرحمن. ثم قال : صحيح على شرط البخاري. قال ابن حجر : وليس كما قال فإن موسى ضعيف ورواية أبي سلمة عنـــه مرســـلة. الإصـــابة ٣/٥٤٠.

(٥) ابن سعد، الطبقات الكبرى ٨/٤٢.

يشتم النبي ﷺ فأخذ له لحي جمل فضربه فشجه. فقيل لأروى ألا ترين ما فعل ابنك. فقالت: إن طليبا نصر بن خاله واساه في ذي دمه وماله.

وقيل إن المضرب أبا إهاب بن عزيز الدارمي وكانت قريش حملته على الفتك برسول الله ﷺ فلقيه طليب فضربه فشجه. وحكى البلاذري أن طليبا شج أبا لهب لما حصر المشركون المسلمين في الشعب فأخذوا طليبا فأوثقوه فقام دونه أبو لهب حتى يخلصه وشكاه إلى أمه وهي أخت أبي لهب وقالت: خير أيامه أن ينصر محمدا (٦).

ولما توفي النبي ﷺ رثته عمته أروى بأبيات منها:

ألا يا عين ويحك أسعديني بدمعك ما بقيت وطاوعيني
ألا ياعين ويحك واستهلي على نور البلاد وأسعديني
فإن عذلتك عاذلة فقولي علام وفيم ويحك تعذليني
على نور البلاد معا جميعا رسول الله احمد فاتركيني
فالإ تقصري بالعذل عني فلومي ما بدا لك أو دعيني
لأمر هدني وأذل ركني وشبب بعد جدتها قروني (١)

وهذه الابيات أوردها ابن سعد من طريق شيخه الواقدي قال عنه ابن حجر: متروك مع سعة علمه (٢). كما أن الواقدي لم يورد الرواية بسند وهذا جميعه مما يضعف الرواية.

(٦) الإصابة ٣/٥٤٠.

(١) ابن سعد، الطبقات الكبرى ٢/٣٢٥.

(٢) تقريب التهذيب، تحقيق : محمد عوامة، ط١، دار الرشيد، سوريا، ١٩٨٦م، ١/٣٣٤.

وبذلك لا يجزم بأنها وردت من نظم أروى بنت عبد المطلب وتكون دليل على اسلامها بناء على ما ورد في الابيات بإقرارها أن محمد ﷺ رسول من الله.

إلا أنه يمكن أن يرجح إسلامها بناء على ورد عند كبار المؤرخين كالعقيلي عندما ذكرها في الصحابة وأيضا الذهبي في سير اعلام النبلاء وابن عبد البر في كتابة الاستيعاب في معرفة الأصحاب.

[٦] أم حبيبة بنت أبي سفيان (ت٤٤هـ).

هي رملة بنت أبي سفيان بن حرب رضي الله عنها، واجهت محنة عظيمة وهي في بلادٍ بعيدة وغريبة. فقد هاجرت رضي الله عنها مع زوجها عبيد الله بن جحش إلى الحبشة الهجرة الثانية وذلك فرارا من أذى قريش، و تحملت عناء السفر وهي حامل بابنتها حبيبة التي كانت بها تكنى، وفي أرض الحبشة وضعت طفلتها، ثم ما لبث زوجها أن توفي تاركا إياها وحيدة في الحبشة ولكنها قوية بالله وبإيمانها به، حيث أكرمها الله وعوضها عن زوجها بمن هو خيرا منه إلا وهو نبينا محمد ﷺ لتصبح بفضل من الله أم للمؤمنين، وقد روى الإمام أحمد بسند صحيح من طريق الزهري عن عروة عن أم حبيبة رضي الله عنها: " أنها كانت تحت عبيد الله بن جحش، وكان أتى النجاشي فمات، وأن رسول الله ﷺ تزوج أم حبيبة وهي بأرض الحبشة، زوجها إياه النجاشي، وأمهرها أربعة آلاف"(١).

و روى ابن حبان بسنده إلى عائشة رضي الله عنها قالت: هاجر عبيد الله بن جحش بأم حبيبة بنت أبي سفيان وهي امرأته إلى أرض الحبشة فلما قدم

(١) أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني (ت ٢٤١هـ)، المسند تحقيق : شعيب الأرنؤوط وآخرون، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ٢٠٠١م ٢١٨/٨.

أرض الحبشة مرض فلما حضرته الوفاة أوصى إلى رسول الله ﷺ فتزوج رسول الله ﷺ أم حبيبة وبعث معها النجاشي شرحبيل بن حسنة " (٢).

وقد اشتهر في كتب السيرة أن عبيد الله بن جحش قد تنصر ومات على النصرانية، لكن عدد من الباحثين ناقشوا الروايات الواردة في ذلك من حيث السند والمتن وخلصوا أن هذه الروايات لم تثبت لأنها لم ترو بسند صحيح متصل (٣).

وقد اشتهر في كتب السيرة أن أم حبيبة رضي الله عنها بعدما أصبحت زوج للنبي ﷺ قدمت أجمل صور المحبة له وللدين الإسلامي مفضلة له ومكرمة حتى على أقرب الناس لها وهو والدها أبو سفيان بن حرب، ويتضح ذلك جليا عندما عزم النبي ﷺ فتح مكة عندما نقضت قريش الصلح الذي كان بينهم وبين المسلمين فقد كان من ضمن شروط صلح الحديبية أنه من شاء أن يدخل في عقد محمد وعهده دخل فيه، ومن شاء أن يدخل في عهد قريش وعقدهم دخل فيه، فدخلت خزاعة في عقد محمد ﷺ وعهده، ودخلت بنو بكر في عقد قريش وعهدهم. فمكثوا في تلك الهدنة نحو السبعة عشر أو الثمانية عشر شهرا، ثم إن بني بكر وثبوا على خزاعة ليلا بماء يقال له (الوتير) وهو قريب من مكة، وقالت قريش: " ما يعلم بنا محمد، وهذا الليل وما يرانا أحد "، فأعانوهم على خزاعة بالكُراع والسلاح، وقاتلوهم معهم للضعن على رسول الله ﷺ. فاستنجدت خزاعة بالمسلمين، وقدم عمرو بن سالم الخزاعي

---

(٢) صحيح ابن حبان، وقال المحدث : "إسناده صحيح على شرط البخاري ". محمد بن حبان التميمي (ت ٣٥٤هـ)، صحيح ابن حبان، تحقيق : شعيب الأرناؤوط، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٨م،ص ٦٠٢٧.

(٣) ناقش الدكتور محمد بن عبد الله العوشن روايات ردة عبيد الله بن جحش مناقشة قويه. انظر كتابه ما شاع ولم يثبت في السيرة النبوية، دار طيبة، ص ٣٧-٤٢.

إلى المدينة، فأنشد أبياتاً من الشعر أمام رسول الله ﷺ يستنصره، فقال رسول الله ﷺ: " نصرت يا عمرو بن سالم"(٤).

ولأن قريش خافت من نتائج فعلتها، كانت هي التي بادر بإرسال أبي سفيان إلى المدينة، وعندما قدم أبو سفيان إلى المدينة، دخل على ابنته أم حبيبة، زوج النبي ﷺ، فلما ذهب ليجلس على فراش رسول الله ﷺ طوته عنه، فقال: " يا بُنية، ما أدري أرغبت بي عن هذا الفراش أم رغبت به عني؟ قالت: " بل هو فراش رسول الله ﷺ، وأنت رجل مشرك نجس، ولم أحب أن تجلس على فراش رسول الله ﷺ ". قال: " والله لقد أصابك يا بُنية بعدي شر"(٥).

وقد ناقش هذه الرواية الدكتور محمد العوشن فقال: " قال الشيخ الألباني: " ضعيف، رواه ابن إسحاق بدون إسناد ". ورواه الواقدي أيضا وهو متروك.

وقدوم أبي سفيان إلى المدينة لتجديد العهد لم يثبت –حسب علمي– بسند صحح متصل، وإنما جاء من مرسل عكرمة عند ابن أبي شيبة، ومن مرسل محمد بن عباد بن جعفر أخرجه مسدّد، وكذا عند ابن عائذ عن عروة ". بل أخرج البخاري: " لما سار رسول الله ﷺ عام الفتح، فبلغ ذلك قريشا، خرج أبو سفيان بن حرب وحكيم بن حزام وبُديل بن ورقاء يلتمسون الخبر...فرآهم الناس من حرس رسول الله ﷺ فأدركوهم فأخذوهم، فأتوا بهم رسول الله ﷺ، فأسلم أبو سفيان".(١).

---

(٤) ابن كثير، البداية والنهاية ٣٠٩/٤–٣١٠. من طريق ابن إسحاق بإسناد قال عنه مهدي رزق الله : " حسن لذاته ". السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، ط٢، دار إمام الدعوة، الرياض، ١٤٢٤هـ.١١٧/٢.

(٥) ابن هشام، السيرة النبوية ٥٥/٤. من رواية ابن إسحاق الطويلة عن الفتح بإسناد قال عنه مهدي رزق الله :" حسن " السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية ١١٩/٢.

(١) ما شاع ولم يثبت في السيرة النبوية، ص١١٨.

ونخلص مما سبق أن هذه الرواية من الروايات المشهورة عند علماء السيرة النبوية وهو ما عبر عنه مهدي رزق الله عند حديثه عن فتح مكة فقال: " والمشهور أن قريشا عندما خافت نتائج فعلتها، كانت هي التي بادرت بإرسال أبي سفيان إلى المدينة قبل أن يبلغ المسلمين الخبر...." وذكر من ضمنه موقف أم حبيبة رضي الله عنها مع والدها أبو سفيان [٢].

[٧] عائشة رضي الله عنها وحادثة الإفك (٥٨هـ)

من أشد الازمات التي قد تتعرض لها أي أمرأه هي الاتهام في العرض، فما بالك أذا كان المتهم بها إحدى أمهات المؤمنين زوج أشرف الخلق محمد ﷺ.

فقد حاول المنافقين إثارة العصبية الجاهلية في غزوة المريسيع [١] ولكن بعد أن فشلت محاولتهم، أتتهم الفرصة لإيذاء الرسول ﷺ في نفسه وأهل بيته، وتمثل هذا الإيذاء فيما عرف بحادثة الإفك ضد أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، وكانت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قد خرجت مع النبي ﷺ إلى غزوة بني المصطلق وذلك بعدما شرع الله الحجاب للنساء.

وقد أورد البخاري تفاصيل هذا الإفك برواية عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ إذا أراد سفرا أقرع بين أزواجه فأيهن خرج سهمها خرج بها رسول الله ﷺ معه، قالت عائشة رضي الله عنها: فأقرع بيننا في غزوة غزاها فخرج فيها سهمي فخرجت مع رسول الله ﷺ بعدما أنزل الحجاب فكنت أحمل في هودجي وأنزل فيه فسرنا حتى إذا فرغ رسول الله ﷺ من غزوته

---

(٢) السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية ٢/١١٨-١١٩.

(١) المريسيع : وادي بعيد عن الساحل في الداخل بما يقرب من ثمانين كيلا عن سيف البحر. محمد محمد حسن شراب، المعالم الأثيرة في السنة والسيرة، ص ٢٥١.

تلك وقفل دنونا من المدينة قافلين آذن ليلة بالرحيل فقمت حين آذنوا بالرحيل فمشيت حتى جاوزت الجيش فلما قضيت شأني أقبلت إلى رحلي فلمست صدري فإذا عقد لي من جزع ظفار قد انقطع فرجعت فالتمست عقدي فحبسني ابتغاؤه قالت: وأقبل الرهط الذين كانوا يرحلوني فاحتملوا هودجي فرحلوه على بعيري الذي كنت أركب عليه وهم يحسبون أني فيه وكان النساء إذ ذاك خفافا لم يهلبن ولم يغشهن اللحم إنما يأكلن العلقة من الطعام فلم يستنكر القوم حين رفعوه وحملوه خفة الهودج وكنت جارية حديثة السن فبعثوا الجمل فساروا ووجدت عقدي بعدما استمر الجيش فجئت منازلهم وليس بها منهم داع ولا مجيب فتيممت منزلي الذي كنت به وظننت أنهم سيفقدوني فيرجعون إلي فبينا أنا جالسة في منزلي غلبتني عيني فنمت وكان صفوان بن المعطل السلمي ثم الذكواني من وراء الجيش فأصبح عند منزلي فرأى سواد إنسان نائم فعرفني حين رآني وكان رآني قبل الحجاب فاستيقظت باسترجاعه حين عرفني فخمرت وجهي بجلبابي فوالله ما تكلمنا بكلمة ولا سمعت منه كلمة غير استرجاعه وهوى حتى أناخ راحلته فوطئ على يدها فقمت إليها فركبتها فانطلق يقود بي الراحلة حتى أتينا الجيش موغرين في نحر الظهيرة وهم نزول فهلك من هلك وكان الذي تولى كبر الإفك عبد الله بن أبي سلول. قال عروة: أخبرت أنه كان يشاع ويتحدث به عنده فيقره ويستمعه ويستوشيه، وقال عروة أيضاً: لم يسم من أهل الإفك أيضا إلا حسان بن ثابت ومسطح بن أثاثة وحمنة بنت جحش في ناس آخرين لا علم لي بهم غير أنهم عصبة كما قال الله تعالى وإن كبر ذلك يقال له عبد الله بن أبي ابن سلول. قال عروة: كانت عائشة رضي الله عنها تكره أن يسب عندها حسان وتقول: إنه الذي قال: فإن أبي ووالده وعرضي لعرض محمد منكم وقاء.

قالت عائشة: فقدمنا المدينة فاشتكيت حين قدمت شهرا والناس يفيضون في قول أصحاب الإفك لا أشعر بشيء من ذلك وهو يريبني في وجعي أني لا أعرف من رسول الله ﷺ اللطف الذي كنت أرى منه حين أشتكي إنما يدخل علي رسول الله ﷺ فيسلم ثم يقول كيف تيكم ثم ينصرف فذلك يريبني ولا أشعر بالشر حتى خرجت حين نقهت فخرجت مع أم مسطح قبل المناصع وكان متبرزنا وكنا لا نخرج إلا ليلا إلى ليل وذلك قبل أن نتخذ الكنف قريبا من بيوتنا قالت: وأمرنا أمر العرب الأول في البرية قبل الغائط وكنا نتأذى بالكنف أن نتخذها عند بيوتنا قالت: فانطلقت أنا وأم مسطح ووهي ابنة أبي رهم بن المطلب بن عبد مناف وأمها بنت صخر بن عامر خالة أبي بكر الصديق وابنها مسطح بن أثاثة بن عباد بن المطلب فأقبلت أنا وأم مسطح قبل بيتي حين فرغنا من شأننا فعثرت أم مسطح في مرطها فقالت: تعس مسطح فقلت لها بئس ما قلت أتسبين رجلا شهد بدرا. فقالت: أي هنتاه ولم تسمعي ما قال قالت وقلت ما قال فأخبرتني بقول أهل الإفك قالت: فازددت مرضا على مرضي فلما رجعت إلى بيتي دخل علي رسول الله ﷺ فسلم ثم قال كيف تيكم. فقلت له: أتأذن لي أن آتي أبوي قالت: وأريد أن أستيقن الخبر من قبلهما قالت: فأذن لي رسول الله ﷺ فقلت لأمي يا أمتاه ماذا يتحدث الناس. قالت: يا بنية هوني عليك فوالله لقلما كانت امرأة قط وضيئة عند رجل يحبها لها ضرائر إلا كثرن عليها. قالت: فقلت: سبحان الله أو قد تحدث الناس بهذا. قالت: فبكيت تلك الليلة حتى أصبحت لا يرقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم ثم أصبحت أبكي، قالت: ودعا رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب وأسامة بن زيد حين استلبث الوحي يسألهما ويستشيرهما في فراق أهله. قالت: فأما أسامة فأشار على رسول الله ﷺ بالذي يعلم من براءة أهله وبالذي يعلم لهم في نفسه فقال أسامه أهلك ولا نعلم إلا خيرا وأما علي فقال: يا رسول الله سواها كثير

وسل الجارية تصدقك. قالت: فدعا رسول الله ﷺ بريرة فقال: أي بريرة هل رأيت من شيء يريبك قالت له بريرة: الذي بعثك بالحق ما رأيت عليها أمرا قط أغمصه غير أنها جارية حديثة السن تنام عن عجين أهلها فتأتي الداجن فتأكله. قالت: فقام رسول الله ﷺ من يومه فاستعذر من عبد الله بن أبي وهو على المنبر فقال: يا معشر المسلمين من يعذرني من رجل قد بلغني عنه أذاه في أهلي والله ما علمت على أهلي إلا خيرا ولقد ذكروا رجلا ما علمت عليه إلا خيرا وما يدخل على أهلي إلا معي. قالت: فقام سعد بن معاذ أخو بني عبد الأشهل فقال: انا يا رسول الله أعذرك فإن كان من الأوس ضربت عنقه وإن كان من إخواننا من الخزرج أمرتنا ففعلنا أمرك. قالت: فقام رجل من الخزرج وكانت أم حسان بنت عمه من فخذه وهو سعد بن عباده وهو سيد الخزرج قالت: وكان قبل ذلك رجلا صالحا ولكن احتملته الحمية فقال لسعد كذبن لعمر الله لا تقتله ولا تقدر على قتله ولو كان من رهطك ما أحببت أن يقتل فقام أسيد بن حضير وهو ابن عم سعد فقال لسعد بن عبادة كذبت لعمر الله لنقتلنه فإنك منافق تجادل عن المنافقين. قالت: فثار الحيان الأوس والخزرج حتى هموا أن يقتتلوا ورسول الله ﷺ قائم على المنبر قالت: فلم يزل رسول الله ﷺ يخفضهم حتى سكتوا وسكت قالت: فبكيت يومي ذلك كله لا يرقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم قالت: وأصبح أبواي عندي وقد بكيت ليلتين ويوما لا يرقأ لي دمع ولا اكتحل بنوم حتى إني لأظن أن البكاء فالق كبدي فبينا أبواي جالسان عندي وأنا أبكي فاستأذنت علي امرأة من الأنصار فأذنت لها فجلست تبكي معي قالت فبينا نحن على ذلك دخل رسول الله ﷺ علينا فسلم ثم جلس قالت: ولم يجلس عندي منذ يل ما قيل قبلها وقد لبث شهرا لا يوحى إليه في شأني بشيء قالت: فتشهد رسول الله ﷺ حين جلس ثم قال: إما بعد يا عائشة إنه بلغني عنك كذا وكذا فإن كنت بريئة فسيبرئك الله وإن كنت ألممت بذنب فاستغفري الله وتوبي

إليه فإن العبد إذا اعترف ثم تاب تاب الله عليه. قالت: فلما قضى رسول الله ﷺ مقالته قلص دمعي حتى ما أحس منه قطرة فقلت لأبي أجب رسول الله ﷺ عني فيما قال. فقال أبي: والله ما أدري ما أقول لرسول الله ﷺ. فقلت لأمي أجيبي رسول الله ﷺ فيما قال. قالت أمي والله ما أدري ما أقول لرسول الله ﷺ فقلت وأنا جارية حديثة السن لا أقرأ من القرآن كثيرا إني والله لقد علمت لقد سمعتم هذا الحديث حتى استقر في أنفسكم وصدقتم به فلئن قلت لكم إني بريئة لا تصدقوني ولئن اعترفت لكم بأمر والله يعلم أني منه بريئة لتصدقني فوالله لئن اعترفت لكم بأمر والله يعلم أني منه بريئة لتصدقني فوالله لا أجد لي ولكم مثلا إلا أبا يوسف حين قال: (فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون) ثم تحولت واضطجعت على فراشي والله يعلم أني حينئذ بريئة وأن الله مبرئي ببراءتي ولكن والله ما كنت أظن أن الله منزل في شأني وحيا يتلى لشأني في نفسي كان أحقر من أن يتكلم الله في بأمر ولكن كنت أرجو أن يرى رسول الله ﷺ في النوم رؤيا يبرئني الله بها فوالله ما رام رسول الله ﷺ مجلسه ولا خرج أحد من أهل البيت حتى أنزل عليه فأخذه ما كان يأخذه من البرحاء حتى إنه ليتحدر منه العرق مثل الجمان وهو في يوم شات من ثقل القول الذي أنزل عليه. قالت: فسري عن رسول الله ﷺ وهو يضحك فكانت أول كلمة تكلم بها أن قال: يا عائشة أما الله فقد برأك. قالت: فقالت لي أمي قومي إليه. فقلت: والله لا أقوم إليه فإني لا أحمد إلا الله ﷻ، قالت: وأنزل الله تعالى (إن الذين جاءوا بالإفك عصبة منكم...) العشر الآيات ثم أنزل الله هذا في براءتي قال أبو بكر الصديق وكان ينفق على مسطح بن أثاثة لقرابته منه وفقره والله لا أنفق على مسطح شيئا أبدا بعد الذي قال لعائشة ما قال. فأنزل الله (ولا يأتل أولو الفضل منكم) إلى قوله (غفور رحيم) قال أبو بكر الصديق: بلى والله إني لأحب أن يغفر الله لي، فرجع إلى مسطح النفقة التي كان ينفق عليه وقال:

والله لا أنزعها منه أبدا. قالت عائشة: وكان رسول الله سأل زينب بنت جحش عن أمري فقال لزينب: ماذا علمت أو رأيت. فقالت: يا رسول الله أحمي سمعي وبصري والله ما علمت إلا خيرا. قالت عائشة: وهي التي كانت تساميني من أزواج النبي ﷺ فعصمها الله بالورع. قالت: وطفقت أختها حمنة تحارب لها فهلكت فيمن هلك. قال ابن شهاب: فهذا الذي بلغني من حديث هؤلاء الرهط. ثم قال عروة: قالت عائشة رضي الله عنها: والله إن الرجل الذي قيل له ما قيل ليقول: سبحان الله فوالله الذي نفسي بيده ما كشفت من كنف أنثى قط. قالت: ثم قتل بعد ذلك في سبيل الله " [1].

قال الشيخ عبد الحميد محمود طهماز عند ذكر حديث الإفك من صحيح البخاري: " وهكذا خرجت السيدة من محنتها بشهادة ربانية ببراءتها وطهرها وطيبها، شهادة لا تمحوها الأيام، ولا تخلقها الأعوام، مما زاد في مكانتها في قلب رسول الله ﷺ وأعلى من مقامها في نفسه وفي نفوس المؤمنين إلى يوم الدين"[1].

وقال محمد الصادق عرجون: أراد الله تعالى أن يجعل هذه الحادثة درسا تربويا بليغا للمجتمع المسلم تبقى معه آثاره ما بقي في الحياة من يتلو آيات الله من الهدى والنور.

وأن يجعل منها نكالا للنفاق والمنافقين، وللذين في قلوبهم مرض لا يشفيه إلا الإرجاف بالسوء وإشاعة الأكاذيب والبهتان في مجتمع المؤمنين.

---

(١) البخاري، الصحيح، كتاب المغازي، باب حديث الأفك.١٥١٧/٤.

(١) السيدة عائشة أم المؤمنين وعالمة نساء الإسلام، ط٥، دار القلم، ص٦٠.

وأن يجعل منها منارا على طريق الذين ملأ الإيمان قلوبهم ليزيدهم علما بمقام رسول الله ﷺ ومعرفة بحرماته، وتقديرا لمنزلته عند ربه الذي أرسله هدى ورحمة للعالمين.

وأن يجعل منها منهجا لمعالم الاصطفاء لخواص المقربين لرسول الله ﷺ لتعرفهم الأمة بنعوت فضلهم وفواضلهم، وتعرف لهم أقدارهم في ذروة دوحه الإيمان والمؤمنين.

وأن يجعل منها خصيصة ليرفع من شأن أطهر الطاهرات، الصديقة بنت الصديق زوج أحب خلق الله إلى الله، إظهاراً لشرفها الذاتي والاجتماعي، وإنافة لمكانتها في أهل البيت طهراً وفضلا وشرفا، وثقلا في ميزان الفضائل الإنسانية والإيمانية لمكانها من قلب رسول الله ﷺ [٢].

[٨] أم سلمه رضي الله عنها (ت٥٩هـ)

هي أم سلمة بنت أبي أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم القرشية المخزومية أم المؤمنين، اسمها هند، وقال أبو عمر يقال: اسمها رملة وليس بشيء واسم أبيها حذيفة، وقيل سهيل، ويلقب زاد الركب لأنه كان أحد الأجواد فكان إذا سافر لا يترك أحدا يرافقه ومعه زاد بل يكفي رفقته من الزاد[١].

مرت على ام سلمه رضي الله عنها أزمات صبرت فيها وأظهرت من القوة والجلد ما يدل على قوة ايمانها وحكمة تدبيرها للأمور، وأول هذه الازمات ما تعرضت له من أذى مع زوجها عند إسلامهما، فقد كانت متزوجة

(٢) محمد رسول الله ﷺ، ٤/٢٢٤-٢٢٥.

(١) الاستيعاب ٢/١٢٢.

من ابن عمها أبي سلمة بن عبد الأسد بن المغيرة وعندما نالهم الأذى في مكة من قريش هاجرت مع زوجها إلى الحبشة وهناك ولدت ابنها سلمه.

ثم عندما عادت إلى مكة وأرادت الهجرة مع زوجها إلى المدينة واجهتها أزمة أخرى، روتها رضي الله عنها فقالت: أنه لما أجمع أبو سلمة الخروج إلى المدينة رحل بعيرا له وحملني وحمل معي ابني سلمة ثم خرج يقود بعيره فلما رآه رجال بني الميرة قاموا إليه فقالوا: هذه نفسك غلبتنا عليها أرأيت صاحبتنا هذه علام نتركك تسير بها في البلاد ونزعوا خطام البعير من يده وأخذوني فغضب عند ذلك بنو عبد الأسد وأهووا إلى سلمة وقالوا: والله لا نترك ابننا عندها إذا نزعتموها من صاحبنا فتجاذبوا ابني سلمة حتى خلعوا يده وانطلق به بنو عبد الأسد ورهط أبي سلمة وحبسني بنو المغيرة عندهم وانطلق زوجي أبو سلمة حتى لحق بالمدينة ففرق بيني وبين زوجي وابني فكنت أخرج كل غداة وأجلس بالأبطح فما أزال أبكي حتى أمسي سبعا أو قريبها حتى مر بي رجل من بني عمي فرأى ما في وجهي فقال لبني المغيرة ألا تخرجون من هذه المسكينة فرقتم بينها وبين زوجها وبين ابنها فقالوا الحقي بزوجك إن شئت ورد علي بنو عبد الأسد عند ذلك ابني فرحلت بعيري ووضعت ابني في حجري ثم خرجت أريد زوجي بالمدينة وما معي أحد من خلق الله فكنت أبلغ من لقيت حتى إذا كنت بالتنعيم لقيت عثمان بن طلحة أخا بني عبد الدار فقال: أين يا بنت أبي أمية قلت: أريد زوجي بالمدينة. فقال: هل معك أحد. فقلت: لا والله إلا الله وابني هذا. فقال: والله مالك من مترك فأخذ بخطام البعير فانطلق معي يقودني فوالله ما صحبت رجلا من العرب أراه كان أكرم منه إذا نزل المنزل أناخ بي ثم تنحى إلى شجرة فاضطجع تحتها فإذا دنا الرواح قام إلى بعيري قدمه ورحله ثم استأخر عني وقال: أركبي فإذا ركبت واستويت على بعيري أتى فأخذ بخطامه فقادني حتى نزلت فلم يزل يصنع ذلك

حتى قدم بي المدينة فلما نظر إلى قرية بني عمرو بن عوف بقباء قال: إن زوجك في هذه القرية. وكان أبو سلمة نازلا بها. وقيل: إنها أول امرأة خرجت مهاجرة إلى الحبشة وأول ظعينة دخلت المدينة. ويقال: إن ليلى امرأة عامر بن ربيعة شركتها في هذه الأولية (٢)

استقرت أم سلمة مع زوجها في المدينة، وشارك زوجها في الغزوات مع النبي ﷺ ولم يلبث أن استشهد متأثرا بجراحه وهكذا اصبحت أم سلمة أرمله ولكن حكمة الله ﷻ فوق كل شيء فقد قدر الله لأم سلمه أن تتزوج خير البشرية وان تكون أم لجميع المسلمين.

حزنت ام سلمة على وفاة زوجها حزنا شديدا فيروى عنها قولها: سمعت رسول الله ﷺ يقول ما من عبد تصيبه مصيبة فيقول: إنا لله وإنا إليه راجعون اللهم أجرني في مصيبتي وأخلف لي خيرا منها إلا أجره الله في مصيبته وأخلف له خيرا منها. قالت: فلما توفي أبو سلمة قلت كما أمرني رسول الله ﷺ فأخلف الله لي خيرا منه رسول الله ﷺ. وفي رواية أخرى: قالت: فلما توفي أبو سلمة قلت من خير من أبي سلمة صاحب رسول الله ﷺ ثم عزم الله لي فقلتها. قالت: فتزوجت رسول الله ﷺ. (٣)

الموقف الأخر الذي يثبت أن أم سلمة رضي الله عنها صاحبة مشورة ورأي حكيم، في المواقف العصيبة هو موقفها في غزوة الحديبية، ففي العام السادس من الهجرة صحبت أم سلمة رسول الله ﷺ عندما توجه إلى مكة معتمرا، ولكن هذه العمرة لم تتم حيث رفضت قريش حينها أن تجعل رسول

(٢) بن هشام، السيرة النبوية ٣١٥/٢.

(٣) ابن سعد، الطبقات ٢٢/١٠.

الله ﷺ وصحبه يقتربون من بيت الله الحرام وعقدت معهم الصلح الشهير الذي عُرف بصلح الحديبية.

ولما فرغ رسول الله ﷺ من كتاب صلح الحديبية، أمر أصحابه بأن ينحروا الهدي ويحقلوا رؤوسهم، فلم يقم منهم أحد، وكرر الأمر ثلاث مرات فلما لم يقم منهم أحد، قام فدخل على أم سلمة فذكر لها ما لقي من الناس، فقالت: يا نبي الله أتحب ذلك؟ اخرج، لا تكلم أحداً منهم كلمة حتى تنحر بُدنك، وتدعو حالقك فيحلقك، فخرج فلم يكلم أحداً منهم حتى فعل ذلك، نحر بدنة، ودعا حالقه فحلقه، فلما رأوا ذلك قاموا فنحروا، وجعل بعضهم يحلق بعضا، حتى كاد بعضهم يقتل بعضا غما (١).

وقد جلى الله عن المسلمون يومئذ بأم سلمة رضي الله عنها (٢).

وعاشت أم سلمة مع رسول الله ﷺ محبة له ومشاركة في بناء الدولة الإسلامية بالمساهمة في الخروج مع النبي ﷺ في غزواته، وبعد وفاته في رواية أحاديث النبي ﷺ لتنشر سيرته وسنته بين المسلمين، وتوفيت رضي الله عنها سنة تسع وخمسين من الهجرة (٣).

[٩] أسماء بنت أبي بكر ﷺ (ت٧٣هـ).

أسماء بنت أبي بكر الصديق ﷺ، أسلمت قديما بمكة وهاجرت إلى المدينة، وقد مرت بها أزمات منذ دخولها في الإسلام وفي مراحل مختلفة من حياتها، استطاعت من خلالها أثبات شجاعتها وحسن تصرفها في إدارة هذه الأزمات، وأول هذه الازمات عند هجرة النبي ﷺ ووالدها أبو بكر ﷺ إلى المدينة، حيث

(١) البخاري، الصحيح ١٣١/١١.

(٢) محمد الصادق عرجون، محمد رسول الله، ١١٢/٢.

(٣) الذهبي، سير اعلام النبلاء ٢٠٣/١.

روى البخاري بسنده إلى أسماء رضي الله عنها قالت: صنعت سفرة رسول الله ﷺ في بيت أبي بكر حين أراد أن يهاجر إلى المدينة قالت: فلم نجد لسفرته ولا لسقائه ما نربطهما به فقلت لأبي بكر: والله ما أجد شيئا أربط به إلا نطاقي. قال: فشقيه باثنين فاربطيه بواحد السقاء وبالآخر السفرة ففعلت فلذلك سميت ذات النطاقين"(٦٠).

أذا هذه أول أزمة برز فيها ما تتمتع به رضي الله عنها من ذكاء وحسن إدارة الموقف.

ثم تلى ذلك موقف أخر يثبت شجاعتها، وتحملها الأذى في سبيل الله، وأعطت درس مهم لنساء المسلمين جيلا بعد جيل، كيف تخفي أسرار المسلمين عن الأعداء وأيضا كيف تقف صامدة شامخة أمام قوى البغي والظلم (٦١)، فقد روي عنها أنها قالت: لما خرج رسول الله ﷺ وأبو بكر ﷺ أتانا نفر من قريش فيهم أبو جهل بن هشام فقفوا على باب أبي بكر فخرجت إليهم فقالوا: أين أبوك يا بنت أبي بكر، قالت: قلت لا أدري والله أين أبي، قالت: فرفع أبو جهل يده وكان فاحشاً خبيثاً فلطم خدي لطمة طرح منها قرطي (٦٢).

أما الأزمة الثالثة فكان قدرة تعاملها بحكمة مع جدها، حيث روت رضي الله عنها أنه لما خرج رسول الله ﷺ وخرج أبو بكر معه احتمل أبو بكر ماله كله معه خمسة الآف درهم أو ستة ألاف درهم فانطلق بها معه قالت: فدخل علينا جدي أبو قحافة وقد ذهب بصري، فقال: والله أني لأراه قد فجعكم بماله ونفسه قالت: قلت كلا يا أبة إنه قد ترك لنا خيرا كثيرا. قالت: قلت كلا يا أبه أنه قد ترك لنا خيرا كثيرا. قالت: وأخذت احجاراً فوضعتها في كوة في البيت الذي كان أبي يضع ماله فيها، ثم وضعت عليها ثوبا ثم أخذت بيده فقلت: يا أبه ضع يدك على هذا المال. قالت: فوضع يده عليه. فقال: لا بأس إذ كان قد

ترك لكم هذا، فقد أحسن وفي هذا بلاغ لكم. ولا والله ما ترك لنا شيئاً ولكن أردت أن أسكن الشيخ بذلك (١).

وبهذا استطاعت أسماء رضي الله عنها بفطنتها وحكمتها أن تستر أباها وتسكن قلب جدها الضرير.

وامتد العمر بأسماء بنت أبي بكر إلى أن شاهدت صلب ابنها عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما، فقد روى الامام مسلم بسنده عن أبي نوفل: أن الحجاج بعدما قتل وصلب عبد الله بن الزبير رضي الله عنه أرسل إلى أسماء بنت أبي بكر أن تأتيه فأبت أن تأتيه فأعاد عليها الرسول لتأتيني أو لأبعثن إليك من يسحبك بقرونك قال: فأبت وقالت: والله لا آتيك حتى تبعث إلى من يسحبني بقروني. قال: فقال أروني سبتي فأخذ نعليه ثم انطلق يتوذف حتى دخل عليها فقال: كيف رأيتني صنعت بعدو الله. قالت: رأيتك أفسدت عليه دنياه، وأفسد عليك آخرتك. بلغني أنك تقول له: يا ابن ذات النطاقين أنا والله ذات النطاقين أما أحدهما فكنت أرفع به طعام رسول الله ﷺ وطعام أبي بكر من الدواب وأما الآخر فنطاق المرأة التي لا تستغني عنه. أما إن رسول الله ﷺ حدثنا أن في ثقيف كذابا ومبيرا فأما الكذاب فرأيناه وأما المبير فلا أخالك إلا إياه. قال: فقام عنها ولم يراجعها (٢).

لقد دافعت رضي الله عنها عن ابنها دفاعاً مجيداً، فانكسر الحجاج وانصرف.

وفي رواية عند الإمام أحمد: أن الحجاج بن يوسف دخل على أسماء بنت أبي بكر بعدما قتل ابنها عبد الله بن الزبير فقال: إن ابنك الحد في هذا البيت

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب : حمل الزاد في الغزو ١٣٢/٢.

(٢) علي الصلابي، خلافة أمير المؤمنين علي بن الزبير، ص٣٤.

وأن الله ﷻ أذاقه من عذاب أليم وفعل به ما فعل. فقالت: كذبت كان برا بالوالدين صواما قواما. والله لقد أخبرنا رسول الله ﷺ أنه سيخرج من ثقيف كذابان الآخر منهما شر من الأول وهو مبير "(٣).

لم تمكث بعد مقتل ابنها عبد الله إلا ليال ثم توفيت رضي الله عنها، وكان مقتله يوم الثلاثاء لسبع عشرة ليلة خلت من جمادى الأولى سنة ثلاث وسبعين(٤).

رحمها رحمة واسعة فقد عاشت حياة بذلتها لخدمة الإسلام لتكون إحدى النساء الفاعلات في المجتمع الإسلامي ولتكون مثالا يحتذى لنساء المسلمين كافة.

(٣) ابن كثير، إسماعيل بن عمر (ت٧٧٤هـ)،تحقيق : محمود عمر الدمياطي، السيرة النبوية، ط٣، ٢٠١١م،ص٢٠٩.

(٤) ابن سعد، الطبقات ٢٢١/٣.

الخاتمة

سار هذا البحث ليستعرض نماذج للمرأة المسلمة في عهد النبوة وكيف تعاملت مع مواقف وأزمات طارئة بحكمة وصبر واتخاذ قرار سريع لمعالجة هذه الازمات مما يدل دلالة واضحة على اهتمام الإسلام بالمرأة واعتبارها جزء من المجتمع تساهم في رفعته وتقدمه، لذلك منذ فجر الإسلام في العهد النبوي أعطاها النبي ﷺ حقوقها التي أقرها لها الإسلام، وأيضا أعطاها مكانتها في احترام رأيها وإبراز مواهبها وقدراتها، ولم تعامل بدونيه أو تجاهل، لذا شاركت المرأة في الجهاد فبرزت شجاعتها في حمل السلاح، وشاركت في الهجرة سواء للحبشة أو المدينة لحماية دينها وداعمة لزوجها في تحمل الصعاب في سبيل الله، وشاركت بالرأي والمشورة السديدة في مواقف طارئة تحتاج قرار سريع، ليس هذا فحسب بل مما يحسب للمرأة في بداية الدعوة الإسلامية أن أول من أسلم أمراه وهي خديجة رضي الله عنها، وأول شهيدة في الإسلام أمرأه وهي سمية بنت خياط.

هذه المكانة التي أولها الإسلام للمرأة أثمرت في أن المرأة غرست ثمار حكمتها وشجاعتها وتضحيتها من أجل رفعة كلمة أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله ﷺ في أبنائها ليساهموا في بناء المجتمع الإسلامي ونشر الإسلام وتأسيس الحضارة الإسلامية التي امتدت في مشارق الأرض ومغاربها.

يضاف لهذا أن هؤلاء النسوة خلدن بمسيرتهن العطرة نماذج يحتذى بها للأجيال اللاحقة، ونماذج تفخر بها كل امرأة مسلمة تستشهد بها لإسكات من ينعق بأن الدين الإسلامي فيه كبت لحرية المرأة وعدم انصاف لها، وتجاهل لقدراتها وعدم إعطائها حقوقها وواجباتها.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمدﷺ.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المصادر:

١- ابن إسحاق، محمد بن إسحاق بن يسار المطلبي (ت ١٥١ هـ)
السيرة النبوية، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٤م.

٢- أحمد بن حنبل، أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني (ت ٢٤١هـ).
المسند، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ٢٠٠١م.

٣- البخاري، محمد بن إسماعيل الجعفي (ت ٢٥٦هـ).

- التاريخ الأوسط، تحقيق: محمود إبراهيم زايد، ط١، دار الوعي، حلب، ١٩٧٧م،
- الصحيح، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ط١، ١٤٢٢هـ.
- الحاكم، محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري (ت ٤٠٥هـ).
- المستدرك على الصحيحين، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٢م.

٤- ابن حبان، محمد بن حبان التميمي (ت ٣٥٤هـ).

- صحيح ابن حبان، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٨م.

٥- ابن حجر، أحمد بن علي بن محمد العسقلاني (ت ٨٥٢هـ).

- الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود ؛ علي محمد معوض، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٥م.
- تقريب التهذيب، تحقيق: محمد عوامة، ط١، دار الرشيد، سوريا، ١٩٨٦م

▪فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ط١، دار السلام، الرياض، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

٦- الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد (ت٧٤٨هـ)

▪سير أعلام النبلاء، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف شعيب الأرناؤوط، ط٣، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٥م.

٧- ابن سعد، محمد بن سعد بن منيع الزهري (ت ٢٣٠هـ).

▪الطبقات الكبرى، تحقيق: علي محمد عمر، ط١، مكتبة الخانجي، ٢٠٠١م.

٨- ابن أبي عاصم، أحمد بن عمرو (ت٢٨٧هـ).

▪الآحاد والمثاني، تحقيق: باسم فيصل الجوابرة،ط١، دار الراية، الرياض،١٩٩١م.

٩- ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله النمري القرطبي (ت ٤٦٣هـ).

▪الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تحقيق: علي محمد البجاوي، ط١، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٢م

١٠-ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن (ت٥٧١هـ)

▪تاريخ دمشق، تحقيق: عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٥م.

١١-ابن كثير، إسماعيل بن عمر الدمشقي (ت ٧٧٤هـ)

▪البداية والنهاية، تحقيق: علي شيري، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٨٨م.

١٢-مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت ٢٦١هـ)،

■صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، وزارة الشؤون الإسلامية والدعوة والإرشاد السعودية، ط٢، ٢٠٠٠م.

١٣-النووي، محيي الدين بن شرف (ت٦٧٦هـ).

■تهذيب الأسماء واللغات، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٨م.

١٤-ابن هشام، عبد الملك بن هشام الحميري المعافري (ت ٢١٨هـ).

■السيرة النبوية، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، ط٣، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٩٠م.

١٥-الواقدي، محمد بن عمر السهمي (ت ٢٠٧هـ)

■المغازي الواقدي، تحقيق: مارسدن جونس، ط٣، دار الأعلمي، بيروت، ١٩٨٩م.

ثانياً: المراجع.

١- أكرم ضياء العمري.

■السيرة النبوية الصحيحة **ط٢، مكتبة العبيكان، الرياض، ١٩٩٦م.**

٢- عبد الحميد محمود طهماز

■السيدة عائشة أم المؤمنين وعالمة نساء الإسلام، ط٥، دار القلم، دمشق، ١٩٩٤م.

٣- علي بن محمد الصلابي.

■خلافة أمير المؤمنين عبد الله بن الزبير، ط١، مؤسسة اقرأ، القاهرة، ٢٠٠٦م.

٤- محمد الصادق عرجون.

■محمد رسول الله ﷺ محمد رسول الله ﷺ، ط٢، دار القلم، دمشق، ١٩٩٥م.

٥- محمد بن عبد الله العوشن.

▪ما شاع ولم يثبت في السيرة النبوية، دار طيبة، الرياض، (د.ت).

٦- محمد محمد حسن شراب.

▪المعالم الأثيرة في السنة والسيرة، دار القلم، دمشق، ط١، ١٩٩١م.

٧- مهدي رزق الله.

▪السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، ط٢، دار إمام الدعوة، الرياض، ١٤٢٤هـ.